# الفوائد اللطائف من قصة الطائف




صياغة
د.حمزة بن فايع الفتحي

مركز أضواء السنن


بسم الله الرحمن الرحيم

( إنما تؤخذ التجاربُ الدعوية ، من سير المرسلين ، وقصصهم وتضحياتهم ).

-( في السيرة غذاءُ الملهوف، وترياق المكروب ، وسلوة المحزون).

( كلما خالطك الضعفُ والوحشة ، فالثم السيرةَ بلا تردد وعثرة ).

# الاستهلالُ

الحمد لله رب العالمين ، وولي الصالحين ، وخالق الخلق أجمعين، ونصلي ونسلم على سيد المرسلين ، وقدوة العالمين، وقائد الغر المحجلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد :**

فمن أطايبِ القصص النبوي، ودروسِ المسار الدعوي ، وجماليات الخطاب الوعظي، قصته صلى الله عليه وسلم في الطائف ، وحديث الساعةِ الشديدة، والغم المتراكم، وقد لقي فيه صلى الله عليه وسلم الأمرين، وعانى البليتين، وجابه القبيلتين.

فاستطبنا تأمله واستخراج دروسه وعبره، والتفقه في معانيه وجمله، على الطريقة الزينية الرجبية، والتي تميز بها الحافظ المحقّق ابن رجب الحنبلي رحمه الله ( ٧٩٥)هـ في شروحه المختلفة، وجامع العلوم والحكم، وأجزائه الحديثية الذائعة .

وكنا بحمد الله قد انتهجنا ذلك من قديم، ونشرنا عددًا من القضايا الحديثية نحو:

عطر التهادي من فوائد حديث يا عبادي. وحديث كل أمتي معافى والتعليق الموفى ، وحديث الحياء والنبوة الأولى ، وحديث جابر في الخندق ومعانيه في النهر المتدفق ، وأمثالها .

وفي هذه الرسالة الصغيرة، تجنح اليَراعةُ إلى قصة نبوية، وتجربة دعوية، مشحونة بالحزن والفرح ، والشدة والراحة ، والهمة والعزم ، واليقين والأمل، والدقة والاستشراف، والنصرة والتأييد .

ولذلك كان لزامًا على الوعي الدعوي تأمل مثل هذه القصص، واستنباط دروسها، والعيش في ظلالها وأبعادها ، على طريقتنا في الاستلهام الفقهي من تلكم النصوص الصحاح، على نهج الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله، الذي كان له قصبُ في هذه السياق الجمالي، أحاديث مشروحة، ونصوصًا مبسوطة .

وخليق بكل طالب علم مراجعة السنن، لا سيما القصص الدعوي ، فهي زاد الداعية، وميرة المصلح، ووقود الناصح، ومن لا يستلهم منهجه منها، تاه وضل، ولم يفقه المنهاج ، أو يعرف الطريق.

ولذلك هذه الرسائلُ المختصرة ، تجلّي السبيل، وتدنيك من الخيمة النبوية ، وتفقهك في المدرسة الدعوية ولوازمها..! وكم قد عز الفقه الدعوي لدى عاملين تهاونوا في فقهه، وما بالوا بدرسه، وفي سيرة نبينا الكريم أصله ودرسه، ونوعه وتفاصيله. فهنيئاً لمن وفق للاطلاع ، وعاش في معانيها ودروسها .

اللهم حبب إلينا السنن، وأمتعنا بدرسها وفقهياتها وآدابها ، إنك جواد كريم .

**جدة بوابة الحرمين الشريفين .**

**١٤٤٤/٥/٥هـ**

# نص الحديث

عن عُرْوَةُ ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ ». فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ

اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ».

البخاري (٣٢٣١). كِتَابٌ : بَدْءُ الْخَلْقِ بَابٌ : إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : آمِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.[1]

مسلم( ١٧٩٥ ) كِتَابٌ : الْجِهَادُ وَالسِّيَرُ بَابٌ : مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَذَى.

# راوي الحديث:

عائشة أم المؤمنين، السيدة الفقيهة، والعالمة الجليلة  هي بنت أبي بكر الصّدّيق بن أبي قحافة بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية، أم المؤمنين، زوجة النبي - صلّى الله عليه وسلّم - وأفقه نساء الأمّة على الإطلاق، والمرجع العلمي للصحابة الكرام ، والمبرأة العفيفة . وفضائلها كثيرة تفوق الحصر منها قوله الصلاة والسلام -: ( فضْلُ عائشة على النساء، كفضْل الثريد على سائر الطعام ). وممّا يدلُّ على مكانتها في نفس النبي - صلّى الله عليه وسلّم - ما رواه الشيخان عن عمرو بن العاص: أنّ النبي - صلّى الله عليه وسلّم - بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيتُه فقلت: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: ((عائشة))، فقلت: مِن الرجال؟ فقال: ((أبوها))، قلت: ثم مَن؟ قال: ((ثم عمر بن الخطاب))، فعدَّ رجالاً توفيت سنة ٥٨ للهجرة .

# فوائد ولطائف الحديث

## ١- أن الابتلاءَ سنة الحياة:

وهو في حق المرسلين وأتباعهم مؤكد متعين ، كما قال تعالى:
(أحسب الناسُ ان يتركوا أن يقولوا آمنا مهم لا يفتنون ...).

## ٢- تذكر الداعية للشدائد التي خالطها في حياته:

وأن ذلك قد يطيقه بعض الناس، ويستلهم منه الذكرى وفضول الله تعالى عليه، وكيف تقلبت به الأمور، حتى انتقل لعز كبير، ومجد متين، كما قال يوسف عليه السلام : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١).

## ٣- مشروعيةُ انتقال الداعية إلى مكان آخر:

ليتمكن من الأتباع والأنصار. وفي الانتقال عالم جديد،

واشخاص مختلفون غالبًا ، وتعرف على مجتمعات مغايرة . وارض الله واسعة، ومن ضيق عليه في مكان، التمس مكانا جديدا ، وبشرًا مختلفا ، لعل الله يجعل له فرجًا ومخرجا .

## ٤- جوازُ ذكر بعض الذكريات المؤلمة ، وصحة السؤال عنها .

## ٥- أن يوم أُحُد التاريخي كان من الساعات الشديدة في حياة رسول الله:

ولم تزل آلامه تلوح له في الذاكرة . وقد كان سنة (٢) من الهجرة الشريفة ، وفيه ابتلي رسول الله فشج في وجهه وكسرت رباعيته ، وضرب على عاتقه ، فاحتمل وصبر، قال العلامةُ ابن القيم: قالَ الزُّهْرِيُّ، وعاصم بن عمر، ومُحَمَّدُ بْنُ يَحْيى بْنِ حِبّانَ وغَيْرُهُمْ: كانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ بَلاءٍ وتَمْحِيصٍ، اخْتَبَرَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِهِ المُؤْمِنِينَ، وأظْهَرَ بِهِ المُنافِقِينَ مِمَّنْ كانَ يُظْهِرُ الإسْلامَ بِلِسانِهِ، وهو مُسْتَخْفٍ بِالكُفْرِ،

فَأكْرَمَ اللّهُ فِيهِ مَن أرادَ كَرامَتَهُ بِالشَّهادَةِ مِن أهْلِ وِلايَتِهِ، فَكانَ مِمّا نَـزَلَ مِنَ القُرْآنِ فِي يَـوْمِ أُحُـدٍ سِتُّونَ آيَـةً مِن آلِ عِمْرانَ، أوَّلُها: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِن أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (آل عمران: ١٢١) إلى آخِرِ القِصَّةِ.

## ٦- تفاوتُ الناس في الاستماع للحق والانصياع لأحكامه.

## ٧- استحبابُ البدء بالسادة في الدعوة والنصيحة لتأثيرهم في غيرهم:

كمًا بدأ هنا بسادة الطائف وهم أبناء يا ليل بن عبد كلال قال في الفتح رحمه الله: « قوله: ( ابن عبد ياليل ) بتحتانية وبعد الألف لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام ( ابن عبد كلال ) بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام واسمه كنانة، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف، ويقال

اسم ابن عبد ياليل مسعود وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوي، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف، وقد روى عبد بن حميد في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿على رجل من القريتين عظيم﴾ قال نزلت في عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل الثقفي، ومن طريق قتادة قال: هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود، ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن مجاهد وقال فيه: يعني كنانة. وروى الطبري من طريق السدي قال: هما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف. وقد ذكر موسى بن عقبة وابن إسحاق أن كنانة بن عبد ياليل وفد مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا، وذكره ابن عبد البر في الصحابة لذلك، لكن ذكر المديني أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك والله أعلم».

## ٨- توجه الداعية وتعلقه في كل الحوادث بربه تعالى:

فهو يعلمنا عليه الصلاة والسلام العبودية الحقة، والمفزع الآمن ، والركن الشديد ، فما نحن سوى عبيدٍ نلجأ إلى ربنا الذي بيده الأمر كله، ولا سيما عند اشتداد الكروب.

## ٩- رحمةُ النبي -صلى اللّٰه عليه وسلم- وشفقته على الأنام:

بالرغم من كل الأذى الذي لقيه منهم، ونستخلص ذلك من رفضه أن يُطبقَ ملَك الجبال على المشركين الأخشبين -وهما جبلان عظيمان حول مكة-، لأنه يرجو أن يَخرج من أصلابهم من يوحِّدُ اللّٰه -سبحانه وتعالى-، وقد حدث، وهذا يُعلّم الدعاةَ الرحمةَ بالناس والصبر عليهم.

## ١٠- تهممُ الزوجة بشؤون زوجها وأهدافه وسؤالها ومشاركتها في الهموم الدعوية.

## ١١- وجوبُ الصبر في الدعوة، واحتمال شدائدها:

فقد لقي صلى الله عليه وسلم وردوه سادتها بعنف كما ذكره كُتّاب السيرة وإن كان فيها مقال، ولكن تروى للاستئناس ،

قال ابن إسحاق رحمه الله: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛ فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن

كان الله أرسلك؛ وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا. لئن كنت رسولا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله صلى عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذكر لي -: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغَ قومَه عنه، فيُذْئِرهم ذلك عليه.

قال ابن هشام: قال عبيد بن الأبرص:

ولقد أتاني عن تميم أنهم ... ذَئِروا لقتلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه،..الحديث . وهي مشهورة في طبقات

ابن سعد وسيرة ابن هشام رحمهم الله. وقد أعلها الشيخ الالباني رحمه الله في رده على الأستاذ البوطي. حيث قال :

قلت: أما ((الطبقات)) فلم يذكر من القصة كلها إلا أحرفاً يسيرة! و مع ذلك فهو عنده (١/ ٢١١ - ٢١٢) من قول محمد بن عمر بغير إسناد! و غالب الظن أن الدكتور لا يعلم أن ابن عمر هذا هو الواقدي المتروك كما يأتي.

و أما ((تهذيب السيرة)) فقد ذكره (٢/ ٦٠) من طريق ابن إسحاق بإسناد له مرسل، إلا الدعاء فلم يسق له سنداً، فقد قال: ((فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فيما ذكر لي -: اللهم ...)).

و قد أخرج القصة باختصار ( وفيه الدعاء ) الطبراني بإسناده عن ابن إسحاق بسنده عن عبد الله بن جعفر، و ابن إسحاق مدلس

و قد عنعنه؛ و لذلك ضعفت الحديث في ((تخريج الفقه)) (ص ١٣٢).

ورواه البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري في دلائل النبوة (٢/ ٤١٤- ٤١٧). وأبو نعيم في دلائله رقم ٢٢١ كذلك القصة دون الدعاء بسند ضعيف عن عروة بن الزبير مرسلة.

وأخرجه أيضًا: ابن عدى (٦/ ١١١، ترجمة ١٦٢٣ محمَّد بن إسحاق بن يسار).

وفي القصة ذكر خبر عداس النصراني وتأثره بموقف رسول الله، ولكنها معتلة كما قال الألباني وبعض الشيوخ .

وضعفه دكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة (١/ ١٨٦ - ١٨٧) وقال:

(وأما دعاؤه على ثقيف بقوله: (اللهم إليك أشكو ...)

ولقاؤه بعداس لم يثبت من طريق صحيحة فقد ساقها ابن إسحاق بدون إسناد.

وقال بعد ما ذكر أسانيد قصة عداس: وهذه المراسيل لا تقوى ببعضها

إذ الظاهر أن مخرجها واحد لأن ابن اسحاق وموسى بن عقبة تلميذان للزهري). والدعاء مشهور في السيرة وعلى ألسنة الدعاة، ولكنه مرسل لا يثبت على الطريقة الحديثية ، وإن كانت ألفاظه جاذبة سليمة، والله الموفق .

قال العراقي في ألفية السيرةِ النبوية:

| | |
|---|---|
| وليعلمِ الطالبُ أنَّ السّيَرَا | تَجمَعُ ما صحَّ وما قدْ أُنْكِرَا |
| والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السّيَرْ | بهِ وإنْ إسنادُهُ لمْ يُعْتَبَرْ |
| فإنْ يكنْ قدْ صحَّ غيرُ ما ذُكِرْ | ذكرتُ ما قد صحَّ منهُ واستُطِرْ |

## ١٢-جوازُ تحدث الداعية عن بعض جهاداته الدعوية وتجاربه:

تحدثاً بنعمة الله، وعظةً للآخرين ، إذا أمن الفتنة .

## ١٣- طولُ نفس الداعية وعدم استعجاله هداية الناس:

وأن كلمة الحق والهدى تسبقها مقدمات من المواعظ والتجارب الدعوية .

## ١٤- أن فساد أقوامٍ لا يعني فساد أتباعهم:

وكراهية تعميم الأحكام على الناس، وأن الهداية بيد الله تعالى.

## ١٥- إثبات الملائكة وأنهم خلقٌ عظيم لله تعالى:

ولهم وظائفهم المخصوصة، فجبريل عليه السلام موكل بالوحي، وثمة ملك للجبال، وملك للموت وللقطر وشبه ذلك.

والإيمان بهم من أركان الإيمان ، هو الإيمان بوجودهم إيمانًا

جازمًا لا يتطرق إليه شك ولا ريب، قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

**١٦- أن المكذب والمعاند جزاؤه العقوبة بعد ظهور الأدلة، وسطوع البراهين.**

### ١٧- عفو الداعية وتسامحه وعدم انتقامه لنفسه:

وأن القضية الدعوية أرقى من أن تخضع للحظوظ النفسية .

### ١٨- صدقُ نبوءة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في صلاح الأصلاب ومفارقتهم طريقة آبائهم في الصد والعناد:

فقد خرج من أبي جهل ابنه عكرمة، ومن الوليد بن المغيرة خالدًا وغيرهم.

### ١٩- خلاصةُ الرسالات تحقيق الوحدانية للّٰه تعالى:

ونبذ الشركيات بكلِّ أنواعها ، لقوله : ( بل أرجو أن يُخْرِجَ اللّٰه من أصلابهم مَن يعبد اللّٰه وحده لا يُشرك به شيئًا ).

### ٢٠- ذكر أهل السيرة والتفسير أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة:

حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف

الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم سبعة نفر من جن أهل نصيبين، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (الصافات:٢٩)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصافات:٣١)، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الجن:١) .

وقد انتقد الإمامُ ابن كثير في تفسيره أن لقاءهم كان يوم الطائف ، فنقل عن ابن إسحاق قوله : فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ بَاتَ بِنَخْلَةَ، فَقَرَأَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْقُرْآنِ فَاسْتَمَعَهُ الْجِنُّ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ .

وَهَذَا صَحِيحٌ، وَلَكِنَّ قَوْلَهُ: «إِنَّ الْجِنَّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ». فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْجِنَّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ فِي ابْتِدَاءِ الْإِيحَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمَذْكُورُ، وَخُرُوجُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى الطَّائِفِ كَانَ

بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ، كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## ٢١- لطفُ الله بعباده المؤمنين ودعاته المصلحين:

وتثبيتهم في الشدائد، وفتح منافذ لهم تنشرح بها صدورهم، وتشتد بها عزائمُهم .

## ٢٢- قوله: ( بقرن الثعالب ) هو ميقات أهل نجد ويقال له قرن المنازل أيضا:

وهو على يوم وليلة من مكة، وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير، وحكى عياض أن بعض الرواة ذكره بفتح الراء قال: هو غلط، وحكى القابسي أن من سكن الراء أراد الجبل ومن حركها أراد الطريق التي بقرب منه، وأفاد ابن سعد أن مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بالطائف كانت عشرة أيام.

وقيل: هو يُجاوِرُ مَوضعَ قَرْنِ المنازِلِ مِن الجَنوبِ الشَّرقيِّ، ويُعرَفُ اليومَ بالمنحوتِ، وهو أقرَبُ إلى مَوضعِ السَّيلِ الكبيرِ منه إلى قَريةِ السَّيلِ الصَّغيرِ، وقيل: إنَّه كان في مِنًى، وهو العرقُ الَّذي كان مُلاصِقًا لمَسجدِ البَيعةِ مِن جَنوبِها الشَّرقيِّ، ممَّا يَلي جَمْرةَ العَقَبةِ، وقد تمَّت إزالتُه لأسبابِ التَّوسعةِ، ويُطلَقُ عليه اليومَ رَبْوةَ مِنًى، ويمُرُّ على طَرَفِه الغربيِّ الشَّارعُ القادمُ مِن جِسرِ الملِكِ عبْدِ العزيزِ.

وقال الفاكهي رحمه الله : وَمِنْ مَسْجِدِ مِنًى إِلَى قُرَيْنِ الثَّعَالِبِ أَلْفُ ذِرَاعٍ وَخَمْسُمِائَةِ ذِرَاعٍ وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا. وَقُرَيْنُ الثَّعَالِبِ جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى أَسْفَلِ مِنًى ويقالُ إِنَّمَا سُمِّيَ قُرَيْنَ الثَّعَالِبِ لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَأْوِي إِلَيْهِ مِنَ الثَّعَالِبِ.(١)

(١) انظر أخبار مكة للفاكهي ٤/٢٥٢ .

٢٣- أن الجبالَ في خلقها وضخامتها من آيات الله الدالة على قدرته، وقوله: ( الأخشبين ) بالمعجمتين هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قُعيقعان، وقال الصغاني: بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان، ووهم من قال هو ثور كالكرماني، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة، ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقا واحدا.

٢٤- إثباتُ صفة السمع لله الواحد الأحد ، ولذلك أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كِتَابُ التَّوْحِيدِ (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ، مختصرا بلفظ: « إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَانِي، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ».

قال أهل السنة: السمعُ صفةٌ ذاتيَّةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ، و(السَّميعُ) من أسْمائِه تعالى.

(١) البخاري (٤٥٨٢) مسلم ( ٨٠٠).

والدليلُ قوله تعالى :

١- قَولُه تعالى: ﴿قال إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦ ).

ومن السنة هذا الحديث، وحديثُ عائِشةَ رَضِيَ اللّهُ عنها في قِصَّةِ المجادَلَة، وقولُها: ( الحمدُ لله الذي وَسِعَ سَمْعُه الأصواتَ)

والخلاصة : أن اللّهَ سميعٌ بسَمْعٍ يليقُ بجَلالِه وعَظَمتِه، كما أنَّه بصيرٌ ببَصَرٍ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

وقال أبو الحَسنِ الأشعريُّ رحمه اللّه: (أَجمَعوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يَسمَعُ ويرى).

## ٢٥- أن المواقفَ الدعوية تتفاوتُ في شدتها وسهولتها:

وضعفها وقوتها، بحيث أن الداعية يقارن بينها ، ويكشفُ سمات بعضها وما احتف بها من الظروف .

## ٢٦- عِظمُ مكانة رسول اللّٰه عند ربه:

حيث قيّض له الملائكة حفظًا ونصرةً ، حيث قال في القصة: ثُمَّ

قَالَ : يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ :« ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ ».

## ٢٧- حاجة الداعية إلى النصرة وتجميع الأتباع:

( إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ).

## ٢٨- تألمُ الدعاة من صدود المجرمين وإصرارهم على السوء والصلاة :

(فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ). وفي مستخرج أبي عوانةَ ( فانطلقت وأنا حزينٌ حتى بلغت قرْن الثعالب ، فإذا بظُلّة ).[1]

## ٢٩- فيه فضل عائشة -رضي اللّٰه عنها:

إذ بحسن سؤالها وحرصها على العلم أبلغت الأمة ما لا يعرفه غيرها حتى قيل إنها بلغَّت الأمة ربع أحكام دينها .

(١) مستخرج أبي عوانة ١٤/٥٤١ .

### ٣٠- قدرةُ اللّه تعالى في إكرام بني آدم وغيرهم:

بخروج أولادهم من أصلابهم، ومنحهم صفات الأبوة والرعاية والتربية .

### ٣١- شدَّة بعض المواجهات الدعوية ، وسلبها للبصر والتركيز، وما يورثه الحزن على أهله:

(فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ).

قَالَ الطِّيبِيُّ أَيْ: فَانْطَلَقْتُ حَيْرَانًا هَائِمًا لَا أَدْرِي أَيْنَ أَتَوَجَّهُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْغَمِّ وَصُعُوبَةِ ذَلِكَ الْهَمِّ.

### ٣٢- أن شدة التجربة ومرارة البلوى:

لا تمنع من المواصلة ومكابدة الطريق ، ولا يذبل من خلالها الأمل الدعوي ، والشوق الإيماني بهدايتهم ( بل أرجو اللّه ..). وأنَّ

الداعية الحق، ذو الوعي واليقين لا تزيده شدة البلوى إلا متانةً وصلابة ، على حد قول القائل وهو أبو تمام:

لقد جربتُ هذا الدهر حتى أفادتني التجاربُ والعناءُ!!

### ٣٣- ويستفادُ منه : إنما الصبر عند الصدمة الأولى:

وهو حديث مخرج في الصحيحين ، قال في الفتح :» في رواية الأحكام: « عند أول صدمة » . ونحوه لمسلم، والمعنى إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر. وأصل الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب، قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو. وحكى الخطابي عن غيره أن المرء لا يؤجر على المصيبة؛ لأنها ليست من صنعه، وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره...»(١)

(١) فتح الباري ٣/١٤٩.

٣٤- أنَّ كلمة المشركين واحدة في حرب الدعوة والموقف من دعاتها، فبرغم عداوة اهل الطائف لمكة ، إلا إنهم اختاروا الصدود والعدوان، ولذلك كان اختيار رسول الله للطائف في غاية الحكمة والدقة ، لما بين الفريقين من نزاع تاريخي ،فقد كانت الطائف تمثل العمق الاستراتيجي لملأ قريش، وقد كان كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك والبساتين في الطائف، ويقضون فيها فصل الصيف، فإذا اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فذلك توجه حكيم مدروس، ومع ذلك فقد صف المشركون في خندق واحد، واستحبوا العمى على الهدى ، ( أتواصوا به بل هم قوم طاغون ) قال في فتح البيان: الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب من حالهم أي: هل أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب وتواطؤوا عليه حتى قالوه جميعاً متفقين عليه؟ أو الاستفهام للنفي، أي: ما وقع منهم وصية بذلك

لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد (بل هم قوم طاغون) إضراب عن التواصي إلى ما جمعهم من الطغيان، أي لم يتواصوا بذلك بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الكفر، فهو إضراب إنتقالي.

وقال ابن سعدي رحمه الله: « يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم -الأولين والآخرين- هل هي أقوال تواصوا بها، ولقن بعضهم بعضًا بها؟

فلا يستغرب -بسبب ذلك- اتفاقهم عليها: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟ وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وكذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه، والسعي فيه، بادروا إلى الإيمان برسلهم وتعظيمهم، وتوقيرهم، وخطابهم بالخطاب اللائق بهم ».

## ٣٥- فيه تسليمُ الملائكة على المرسلين والصالحين:

لقوله : قَالَ : « فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ..» ومشروعية التحايا بين المخلوقات، وأن فيه أُنساً واطمئنانا .

## ٣٦- أن البشر أجيال وخلائف لبعض:

ولن يخلد المجرمون الطغاة، مهما كانت قسوتهم، او اشتد بأسهم . بل كلما هلك جيل خلفه جيل آخر.

## ٣٧- سريانُ روح التفاؤل العالية في قلب الداعية:

وأن الكون كله وهداية الخلق بأمر الله تعالى، وأن مثل تلك الروح كفيلة ببقاء العطاء، واشتعال المَضاء، والتهاب العزيمة، ومواصلة الدرب ، وعدم المبالاة بالمعوقات .

## ٣٨- مشروعيةُ بحث الدعاة عن نصرة وأمان وكفاية:

( إذ عرضت نَفْسِي ) لأن الدعوة بحجمها ومصاعبها تستلزم

الأنصار والأتباع ، كما قال تعالى : ﴿من أنصاري إلى اللّٰه﴾ سورة الصف . وفي السيرة : ( من يؤويني حتى أبلغ رسالات ربي ).

## ٣٩- اتجاه المؤمن فطريًا الى السماء:

( فَرَفَعْتُ رَأْسِي) أَيْ: إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّهَا قِبْلَةُ الدُّعَاءِ وَمَهْبِطَ الرَّجَاءِ،ومحل أنظار السائلين .

## ٤٠- حفظُ اللّٰه لعباده والتخفيف عنهم في الشدائد:

قال: (فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي) أَيْ: بِالزِّيَادَةِ عَلَى الْعَادَةِ (فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا) أَيْ: فِي السحابة ....!

## ٤١- في القصة أن هموم الأنبياء رفيعة فيما يحبه اللّٰه، ويرتجيه أرباب الهممِ العالية:

(فانطلقت وأنا مهموم) وجواز طروء الهم من الأعراض البشرية على الأنبياء وهذا هم في أمر أخروي جَلِيل، والمذموم الهم على ما

فات من أمور الدنيا، والتأسف على زخارفها وزينتها ، عافانا الله وإياكم ، وقد صح من دعائه المشهور عليه الصلاةُ والسلام : ( اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ).[1]

**٤٢- قال العلماء: وما جاء من ألفاظ الترجي في كلام الله سبحانه أو كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو واقع البتة:**

لكنه عبر بذلك على عادة الملوك، قال البيضاوي في التفسير: عسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونه إظهار لوقارهم وإشعاراً بأن الرمز كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده اهـ.[2]

٤٣-وفي القصة حلم عجيب ، وصفح جميل، وهو ما ينبغي حمله على الدعاة، وإبعاد لغة الانتقام من حياتهم الدعوية،

(١) الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٢٣٤)، والطبراني في (الدعاء) (١٩١١).

(٢) دليل الفالحين لابن علان الشافعي ١٠٢/٥

وسلوكهم الإصلاحي . قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

قال لقمان الحكيم: «ثلاثة لا يعرفون إلّا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلّا عند الغضب، ولا الشّجاع إلّا عند الحرب، ولا الأخ إلّا عند الحاجة إليه» .

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (ليس الخير أن يَكْثُر مالك وولدك، ولكنَّ الخير أن يَكْثُر علمك ويَعْظُم حلمك، وأن لا تباهي النَّاس بعبادة الله، وإذا أحسنت: حمدت الله تعالى، وإذا أسأت: استغفرت الله تعالى)

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: (لا يبلغ العبد مبلغ الرَّأي حتى يغلب حِلْمُه جهله، وصبرُه شهوته، ولا يبلغ ذلك إلَّا بقوَّة الحِلْم)

- وسُئل عمرو بن الأهتم: (أيُّ الرِّجال أشجع؟ قال: مَن ردَّ جهله بحِلْمه، قال: فأيُّ الرِّجال أسخى؟ قال: مَن بذل دنياه لصالح دينه).

وما أحسن قول بعضهم:

| | |
|---|---|
| أَظُنُّ الحِلمَ دَلَّ عَلَيَّ قَومي | وَقَد يُستَجهَلُ الرَجُلُ الحَليمُ |
| وَمارَستُ الرِجالَ وَمارَسوني | فَمُعوَجٌّ عَلَيَّ وَمُستَقيمُ |

## ٤٤- ذكر علماء السيرة: أنه كان معه في رحلة الطائف زيد بن حارثة رضي الله عنه مولاه:

وفي ذلك تعمية على المكيين . وأقام - صلى الله عليه وسلم - بنخلة أياماً، وصمّم الرجوع إلى مكة، واستئناف دعوته ، فقال له زيد: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فَرُوي عنه أنه قال: (يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه ).

ثم سار حتى وصل إلى مكة فأرسل رجل من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المُطْعِمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته .

وقد رد للمطعم ذلك الجميل أو حاول رده بقوله: ( لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ.)[1]

قال في الفتح : والمراد بالنتنى - جمع نتن وهو بالنون والمثناة -

(١) البخاري ( ٣١٣٩).

أسارى بدر من المشركين، وقوله « ليتركنهم له » أي بغير فداء، وبين ابن شاهين من وجه آخر السبب في ذلك وأن المراد باليد المذكورة ما وقع منه حين رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي، وقد ذكر ابن إسحاق القصة في ذلك مبسوطة، وكذلك أوردها الفاكهي بإسناد حسن مرسل وفيه» أن المطعم أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح، وقام كل واحد منهم عند ركن من الكعبة. فبلغ ذلك قريشا فقالوا له: أنت الرجل الذي لا تخفر ذمتك « وقيل: المراد باليد المذكورة أنه كان من أشد من قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم في الشعب، ...»[1]

## ٤٥- ظاهر القصة وما فيها من عفو معارضة الآية القرآنية:

(١) انظر فتح الباري ٧/٣٢٤.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أَيْ: لَوْ كَانَ مَرْجِعُ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِلَيَّ، لَأَوْقَعْتُ بِكُمْ مَا تَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾. قال ابن كثير رحمه الله:«

فَالْجَوَابُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ إِلَيْهِ وقوعُ الْعَذَابِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ حال طلبهم لَهُ، لَأَوْقَعَهُ بِهِمْ. وَأَمَّا الْحَدِيثُ، فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ وُقُوعَ الْعَذَابِ بِهِمْ، بَلْ عَرَضَ عَلَيْهِ مَلَكُ الْجِبَالِ أَنَّهُ إِنْ شَاءَ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ -وَهُمَا جَبَلَا مَكَّةَ اللَّذَانِ يَكْتَنِفَانِهَا جَنُوبًا وَشَمَالًا -فَلِهَذَا اسْتَأْنَى بِهِمْ وَسَأَلَ الرِّفْقَ لَهُمْ». [1]

## ٤٦- قوله : (عرضتُ نفسي) : يقصد العرض الدعوي من النصرة والأمان والحماية:

وليس المصلحة الشخصية والانتفاع ، وفيه دليل على أن

(١) انظر تفسير ابن كثير٣ / ٢٦٤ .

الدعوة تحتاج ملجأً ومأوى، وليست مجرد كلمات تُلقى، أو مواعظ تُصفف، بل كلما توفرت لها الحماية النافذة، كانت نتائجها باهرة، وثمراتها يانعة.

### ٤٧- أن وظيفةَ الأجيال ورسالتها عبادة اللّٰه وحده بلا شريك:

وهذا ينفي مقاصد الشهوانيين والملاحدة، من جعل الحياة مسرحا للدعة والعبث، والعيش ببهيمية مستدامة، قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:١١٥).

### ٤٨- قوله: يوم العقبة:

فَالْمَعْنَى كَانَ مَا لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ، وَأَرَادَ بِالْعَقَبَةِ الَّتِي بِمِنًى، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقِفُ عِنْدَ الْعَقَبَةِ فِي الْمَوْسِمِ، وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى الْإِسْلَامِ اهـ.(١)

(١) انظر مرقاة المفاتيح للقاري ٩/ ٣٧٤٠ .

وقال ابن علان الشافعي : لم أر من تعرض لبيان محلها والمراد منها في هذا الحديث، لا المصنف في «شرح مسلم» ولا الحافظ في «الفتح» ، ولعلها عقبة عند الطائف بدليل قوله (إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل) طالباً منه النصر والإعانة على إقامة الدين..»[1]

## ٤٩- تيسر النصرة الإلهية لعباد الله المؤمنين بالآيات الدالة على تمام القدرة:

ولكن الله قضى وقدر أن يقوم على أيدي عباد مجاهدين وصابرين ، كما قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره) وقال: (إن تنصروا الله ينصركم) فأوجب العمل والنصرة، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

(١) دليل الفالحين ٥/١٠٠ .

والمعنى أن كثيراً من الأنبياء قُتلوا (فما وَهنوا) والوهن انكسار الجسد بالخوف وهن الشيء ضعف أي ما جبنوا عن الجهاد (لما أصابهم) أي نالهم (في سبيل الله) من ألم الجروح وقتل الأنبياء والأصحاب والقروح (وما ضعفوا) أي عن عدوهم بل استمروا على جهادهم، لأن الذي أصابهم هو في سبيل الله وطاعته وإقامة دينه ونصرة نبيه، فكان ينبغي لكم يا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أن تفعلوا مثل ذلك، ولا يضركم ما حصل لكم في أحدٍ وأشباهها من المواطن القتالية .

## ٥٠- أن الهداية بيد الله، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن:

يصرفها كيف يشاء، يخرج الحي من الميت، والصالح من الفاسد، والطيب من الخبيث.

## ٥١- أن عمومَ الظلم والفساد لا يمنع التفاؤل ونوافذ الأمل بتغير الأصلاب، وصلاح الأجيال، وسلامة الأبناء:

( فلعل الله أن يخرج من أصلابهم..).

٥٢- أن الامتداد الدعوي بعيد لا حد له بقرن أو قرنين، ولا جيل أو جيلين، بل هو في علم الله، فعلى الدعاة المواصلة والإصرار، والجد والانشراح، بلا ضعف ولا تهاون، كما عز وجل: ( خذوا ما آتيناكم بقوة ). وقال سبحانه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: ١٤).

## ٥٣- أن الشدائدَ ولو أتعبت تعلمك الصبر، والمحن:

ولو طالت تمنحك العطاء، والصدود ولو تعاظمَ يهديك البسالة، والعقلاء من تحنكهم التجارب، فيتعلمون من قصصهم ورحلاتهم وأعاجيبهم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكرامته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان؛ كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة». [1]

## ٥٤- أن النصرة تُلتمسُ من كل طائفة تستعد لشروطها:

وتتحمل تبعاتها، وكلما كانوا أهل قوة وشوكة، كان أدعى وأحكم، ولو كانوا أعداءً لمسقط الرأس.

(١) انظر زاد المعاد ٣/ ١٧ .

## ٥٥- أن الفضل للّٰه أولا وآخراً في قبول الداعية ونجاعة دعوته:

واحتفاء الناس برسالته ، حيث قال: ( بل أرجو اللّٰه أن يخرج ..).

فليس لمكانتك العالية، ولا منصبك الفاخر، أو نسبك الشريف، يهتدي الناس، ولكنه توفيق من اللّٰه وتسديد، وقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام : ( اللهم اهدني وسددني ) .[1]

## ٥٦- ذكر العلماء أن ذهابه صلى اللّٰه عليه وسلم الى الطائف كان على حين غفلة من أهل مكة:

وفي سرية يدل عليها عدم اصطحاب فرسان أو دواب، ولم يأخذ معه سوى مولاه زيد بن حارثة رضي اللّٰه عنه ، وفي ذلك دليل على عدم الإثارة ، أو سريان الأخبار عند المكيين . وَقَدْ سلكها ماشيًا على قدميه ، وبتقديراتنا الحالية، مسافة مكة الى الطائف

(١) صحيح مسلم ( ٢٧٢٥).

نحو(١٠٠) كيلو متر تقريبا ، وقد حث سادةَ ثقيف على الكتمان إذا لم يجيبوا..!

## ٥٧- أن الأذى النفسي أشد على المرء من الأذى الجسدي:

فقد كان البأس في أحد عليه شديداً عليه الصلاةُ والسلام ، ولكنه احتمله، وما لاقاه في الطائف وحديث أهلها وموقفهم، أشدَّ ألماً وتعبا ، ولذلك وصفه بالشديد، وكان يوما حزينًا عليه.

## ٥٨- فضلُ رسول اللّٰه على الملائكة ومكانته العظيمة:

حيث قُيّض له الملائكة وجعل طاعتهم خاضعة له( لتأمرني فيهم بأمرك).

## ٥٩- عِظمُ موانح اللّٰه تعالى على عباده المرسلين والمصلحين:

فقد واساه بالملائكة وجعلهم تحت أمره، وظلله بالسحابة حماية ورحمةً منه تبارك وتعالى.

## ٦٠- وقـوعُ الحـزنِ والـكـرب على أكـرم خلق اللّٰه تعالى تمحيصًا لهم وتربية:

وتهيئة لما بعده، وتعليم أتباعهم مثال ذلك ليعدوا العدة، ويتزودوا بالزاد ، ويوطنوا نفوسهم على مثل هذه المواقف.

## ٦١- لا يتنافى موقف سادة الطائف حينها من موقف أعداء الدعوات من الرسل وأتباعهم:

والعنف المضاعف ، فهم في الشرور كلّها عداءً ورفضا وعنادًا ، ولكنه يتنافى مع قيم العرب وعاداتها المعروفة .

## ٦٢- سموّ طروحات المرأة الصالحة، وعنايتها بالقضايا الدعوية ومصالح زوجها كما تقدم:

وأنه كلما تم العقل ، وزكا القلبُ تغيرت المفاهيم والموضوعات فمن رامَ امـرأةً صالحـةً تخبرها، وبذل لها الغالي والنفيس ، وفي الحديث الصحيح : ( فاظفر بذات الدين تربت يداك ) لأن

الجميلةَ هواها الجمال والزينة، وصاحبة المال الثراء والمفاخرة، وذات الحسب مجدها وأصلها ، والمتدينة تحمي دينها وتكترث لقضاياه ومطالبه .

## ٦٣- واختلف في مدة إقامته في الطائف: قال في سبل الهدى:

فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاء إليه وكلّمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا. وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال ابن عقبة: وقفوا له صفّين على طريقه، فلما مر رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلّم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه.

زاد سليمان التيمي: أنه صلى اللّه عليه وسلم كان إذا أذلقته الحجارة يقعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه ويقيمونه فإذا مشى رجموه بالحجارة وهم يضحكون.

قال ابن سعد: وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شجّ في رأسه شجاجا.[1]

٦٤- جلاءُ الشخصية الرزينة والموقف الهادئ النامي عن أناةٍ وتسامح، تمكنه من اختيار أحسن المواقف، والرد بأفضل العبارات، وهو ما تحتاجه الدعوة هدوء وحكمة، ورزانة ووعي، وأنه لا مجال للحماس والانفعال الزائد.

٦٥- تغليبُ جانب الرحمة والإنظار على لزوم العقوبة والإعذار، وهو وصف لائق لرسول اللّه وهديه وسمته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرۡسَلۡنَاكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

(١) انظر سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ٢/٤٣٩ .

قال في فتح البيان: أي: ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين، وقيل معنى كونه رحمة للكفار أنهم أمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال، بدليل قوله سبحانه: ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) .

وعن ابن عباس في الآية قال: « من آمن تمت به الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من المسخ، والخسف والقذف».

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين، قال: « إني لم أُبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة ».[(١)]

٦٦- تعليمُ الأبناء وتوريثهم علم الآباء ، ليستنيروا في مسيرتهم الدعوية والعلمية ، فقد حدثت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عروة بن الزبير ابن أختها بهذه القصة ، تنورا وتعليمًا ، وهي خالته،

(١) انظر فتح البيان ٨/ ٣٨١ .

ومقامه في العلم مكين، وقد قال سفيان ابن عيينة رحمه الله :« كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة : القاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن» .

## ٦٧- في القصة إشارة الى سنة إلهية عظيمة وهي سنة التدمير والإهلاك للأمم المكذّبة والمتجبرة:

وقد نص عليها القرآن في مواضع ، قال تعالى : قال تعالى:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأنفال: ٥٤).

وقال سبحانه: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النمل: ٥١).

وقال سبحانه : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (الشرح:١٤).

## ٦٨- والسنة الإلهية هي طرقه وعاداته في الكون والأمم:

وذكر الإمام ابن تيمية. رحمه الله أن السنة، هي: «الْعَادَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَنْ يَفْعَلَ فِي الثَّانِي مِثْلَ مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الْأَوَّلِ» .[١]

وقال الشوكاني رحمه الله، : هي ما سنّه الله في الأمم من وقائعه».

[٢] ولكن المولى تعالى هنا خير رسوله فاختار العفو والإمهال .

## ٦٩- أن الملك كله لله، بيده ملكوت السموات والأرض:

يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ، والملائكة والجبال كلها من أمره وحكمه ( له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ) سورةُ البقرة .

وقال تعالى : ﴿وقالُوا اتّخَذَ الرّحْمَنُ ولَدًا سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وهم بِأمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيْدِيهِمْ وما خَلْفَهم ولا يَشْفَعُونَ إلّا لِمَنِ ارْتَضى وهم مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٩).

---

(١) انظر مجموع الفتاوى: ١٣/ ٢٠

(٢) انظر فتح القدير: ٢/ ٢٨ .

وجاء في سنن الترمذي رحمه الله قال صلى الله عليه وسلم :

( قد أطَّت بهم السماءُ ، وحُقَّ لها أن تئطَ ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعٍ إلا وملَك قائمٌ ، أو راكعٌ ، أو ساجدٌ ).[(١)]

### ٧٠- نفي الخلود البشري، وأن العتاة زائلون :

وأن الناس تتوارث، فيرث الأبناء تراث الأجداد وأملاكهم ، وقد يجعل الله في الأجيال اللاحقة خيرًا وعقلًا ، يمنحهم الهداية ، فيسعدون أممهم.

### ٧١- أن الدعوة خالدة منصورة:

والضلالةَ هاوية مدحورة، ويستشف هذا من قوله: (أن يخرجَ من أصلابهم...).

### ٧٢- شرفُ عبودية الله، وذم الشرك وتقبيحه:

وأن ذلك خلاصة الحياة وفلسفة وجودها ( من يعبد الله وحده

(١) الترمذي ( ٢٣١٢).

لا يشرك به شيئًا). وأن الشرك ذنب غير مغفور، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٤٨).

وهذه من أرجى آيات القرآن ، ويسطع فيها فضل الله ورحمته .

ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

قال ابن جرير رحمه الله: قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله عز وجل إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله عز وجل، وظاهره أن المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلاً منه ورحمة وإن لم يقع من ذلك المذنب توبة، وقيد ذلك المعتزلة بالتوبة.

### ٧٣- أن الذُّنوبَ كلها مغفورة في مشيئة اللّٰه، الا الشرك:

فقد نبه عليه وبين قبحه، وبطلان العبادة في ظل وجوده.

### ٧٤- وفي ذلكَ تحذير من الشرك وصوره وأسبابه ووسائله:

وقد كان صلى الله عليه وسلم يحمي جناب التوحيد ، ويربي صحابته على تحقيقه والإخلاص فيه .

يقول أبو ذر رضي الله عنه: تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا بُين لكم).

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ( إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل

الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يحجزهن، ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تقحمون فيها).

وفي حديثِ ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من ماتَ وهو يدعُو من دون الله نِدًا دخلَ النارَ» (أخرجه البخاري).

وعقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب ( التوحيد ) بابًا مفاده (باب ما جاء في حماية المصطفى التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا

عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم). رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات. وساق أحاديث أخرى .

## ٧٥- وهـذه العبادة مقتضاها وزبدتها تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا اللّٰه ، محمد رسول اللّٰه:

وقد قال عنها ابن القيّم رحمه اللّٰه : « كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللّٰه تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ،

وَهِيَ حَقُّ اللهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ،..»[1]

## ٧٨- لا حرج أن يتحدث الدعاةُ عن ابتلاءاتهم إذا أمنوا الفتنة:

وكان في ذلك موعظة وذكرى للمستمعين، شريطةَ التقليل وعدم الإكثار.

## ٧٩- أن الهموم والمحازنَ اذا وقعت على صلحاء الناس كان في ذاك كفارة لهم ومتاع إلى حين:

قال في الحديث: ( ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ)[2]

٨٠- أن الرسالات حجة على البشر، ليقوموا بها وينصرونها

(١) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ١ / ٣٦.

(٢) البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣)

ويعززونها، كما قال تبارك وتعالى : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥).

أي بعد) إرسال (الرسل) وإنزال الكتب وفيه دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة، وعلى أن الله لا يعذب الخلق قبل بعثه الرسل كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً).

وقال سبحانه : ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٩).

قال في محاسن التأويل : أيْ: تُؤَيِّدُوا دِينَهُ، وتُقَوُّوهُ: ﴿وتُوَقِّرُوهُ﴾ أيْ: تُعَظِّمُوهُ: ﴿وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلا﴾ أيْ: غُدْوَةً وعَشِيًّا -عَلى ظاهِرِهِ- أوْ دائِمًا، بِجَعْلِ طَرَفَيِ النَّهارِ كِنايَةً عَنِ الجَمِيعِ، كَما يُقالُ: شَرْقًا وغَرْبًا، لِجَمِيعِ الدُّنْيا.

وقال ابن عاشور رحمه الله: والتَّعْزِيزُ: النَّصْرُ والتَّأْيِيدُ، وتَعْزِيزُهُمُ اللَّهَ كَقَوْلِهِ إنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ. والتَّوْقِيرُ: التَّعْظِيمُ.

والتَّسْبِيحُ: الكَلامُ الَّذِي يَدُلُّ عَلى تَنْزِيهِ اللَّهِ - تَعالى - عَنْ كُلِّ النَّقائِصِ.

## ٨١- فيها أن الأيام دول، فقد انكسروا في أحدٍ:

وسبقها نصر في بدر، ثم ملاق ومواطن مختلفة، لمن يعرف السيرة النبوية ، وكانت العاقبة لهم كما قال تعالى : ( والعاقبة للمتقين ) وفي صحيح البخاري : ( الان نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم).

وفي القرآن اخبر تعالى عن سنة التداول ، كما قال المولى الكريم: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

قال ﴿ فتح البيان : والآيـة خطابٌ للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة، إن يمسسكم أيها المسلمون قرح ونالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم يوم بدر، فلا تهنوا لما أصابكم ﴿ هذا اليوم فإنهم لم يهنوا لما أصابهم ﴿ ذلك اليوم، وأنتم أولى بالصبر منهم.

وتلك الأيـام) الكائنة بين الأمم ﴿ حروبها والآتيـة فيما بعد كالأيام الكائنة ﴿ زمن النبوة تارة تغلب هذه الطائفة، وتارة تغلب الأخرى كما وقع لكم أيها المسلمون ﴿ يوم بدر وأحد وهو معنى قوله (نداولها بين الناس) أي نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ، ولهؤلاء أخرى كقول من قال:

| فيوماً علينا ويوماً لنا | ويوماً نُساءُ ويوماً نسرّ |
|---|---|

وأصل المداولة المعاورة وأدلته بينهم عاورته، والدولة الكرة يقال

تداولته الأيدي إذا انتقل من واحد إلى آخر، ويقال الدنيا دول أي تنقل من قوم إلى آخرين، ثم منهم إلى غيرهم،...!

## ٨٢- دلت أخبارُ السيرة أنه صلى اللّٰه عليه وسلم ذهب الطائف ماشيًا:

وعاد منها كذلك، وفي ذلك بيان لصبره العظيم، وجلده الدعوي المتين، فقد احتمل وعثاء الطريق، وكآبة المنظر، وليعتبر من ذلك الدعاة المرفهون، والناصحون المدللون، الذين لا يتحركون إلا في رغد من العيش، وهناءة مِن اللذة، ومن لم يعرف طرق المرسلين، يتعثر مع المتعثرين، ولا يرشح للمعالي ومنازل الشامخين، واللّٰه المستعان.

لَحا اللّٰهُ ذي الدُنيا مُناخاً لِراكِبٍ فَكُلُّ بَعيدِ الهَمِّ فيها مُعَذَّبُ

## ٨٣- الاستعداد النبوي للمواصلة الدعوية:

واستكمال المشوار، ولو طال الطريق، واشتدت العوائق، وزاد

العدوان، وأن من دعا الآباء ، لا يلقى حرجا من دعوة الأبناء والأحفاد.

### ٨٤- علو همة النبي صلى الله عليه وسلم:

واستعداده النفسي لإكمال الرسالة ، ومنازلة التضحية مع الأجيال القادمة.

### ٨٤- أن العمر كله ميدان للتفاني الدعوي ، والعطاء الإصلاحي، والغيرة الدينية:

بحيث يعز على العقلاء هَلَاكُ الناس ، واقتفاؤهم الشقاء والضلالات ، فهو كما قال سبحانه: ﴿فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا﴾ (الكهف: ٦) .

قال ابن كثير رحمه الله: بَاخِعٌ: أَيْ مَهْلِكٌ نَفْسَكَ بِحُزْنِكَ عَلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿أَسَفًا﴾ يَقُولُ: لَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ أَسَفًا.

قَالَ قَتَادَةُ: قَاتِل نَفْسَكَ غَضَبًا وَحُزْنًا عَلَيْهِمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: جَزَعًا. وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ، أَيْ: لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَبْلِغْهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ، فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.

## ٨٥- علمُ رسول الله بالأشخاص والأماكن وأسمائها ومعالمها:

وهي معلومة ولو تقالها الناسُ، إلا أنها مهمة لثقافة الداعية، فبها تبلغ الأهداف، وتتحقق الغايات.

## ٨٦- كراهيةُ الملأ والسادة لدعوات الرسل ومناهجهم الإصلاحية:

وفي هذا دليل على أن ديمة الصراع بين الحق والباطل، وأن التاريخ يعيد نفسه، أي في بعض مراحله الزمنية، وحوادثه الضخمة، كالنهوض والسقوط، ومعاداة الرسالات والحقائق، قال

تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ ما أتى الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَسُولٍ إلّا قالُوا ساحِرٌ أوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذاريات: ٥٢).

﴿قالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف:٦٠).

قال الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِيسَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ.

قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَاسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌمِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴿٧٥ الأعراف﴾

وقد ورد ذكر هذه اللفظة( الملأ ) في القرآن في نحو (٢٢) موضعًا، وغالبها تعبير عن موقف السادة والأشراف من الدعوات، كما في الأمثلة المنقولة.

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: :

الملأ: جماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالًا ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (البقرة: ٢٤٦) وقال: ﴿وقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾ (المؤمنون: ٣٣).

وقال الإمام محيي السنة البغوي: الملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم، وأصل الملأ:الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ، وجمعه أملاء.

## ٨٧- أن الواجبَ الدعوي تبليغ كلمة الحق ، ونشر الأنوار، سواء تمت النتائج أو انعدمت:

كما قال سبحانه : ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (المائدة: ٩٩).

والمعنى: لهم فإن لم يمتثلوا ولم يطيعوا فما ضروا إلا أنفسهم، وما جنوا إلا عليها، ولا عذر لهم في التفريط، وأما الرسول عليه

الصلاة والسلام فقد فعل ما يجب عليه وقام بما أمره الله به، من الدعوة والبلاغ والنصيحة .

### ٨٨- ومثلُ هذه القصة والمحنة البلائية فيها:

توطّنُ الدعاةَ وطلاب العلم على الصبر، وتلقي الهموم، وأن لا يكترثوا كثيرا للثمار المجتناة، أو المكاسب المادية .

### ٨٩- قوةُ الشخصية النبوية في عرضها نفسها ودعوتها بلا قوة ولا جنود ، ولا صفوة وأحباب:

وما ذلك إلا بسبب توكلها المتين، ومصداقيتها الفائقة ، وقناعتها الداخلية ، وهو أسوةٌ لورثته من الدعاة من أمته، أن يحملوا هذه الأمانة ، ويتخلقوا بأخلاقه عليه الصلاةُ والسلام، كما قال عز وجل : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

## ٩٠- ضُبطت ( عبد يالِيل وكُلال ) بكسر اللام، وضم الكاف، قال في الفتح:

قوله: ( ابن عبد ياليل ) بتحتانية وبعد الألف لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام ( ابن عبد كلال ) بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام واسمه كنانة، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف، ويقال اسم ابن عبد ياليل مسعود وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوي، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف، وقد روى عبد بن حميد في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: (على رجل من القريتين عظيم) قال نزلت في عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل الثقفي، ومن طريق قتادة قال: هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود، ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن مجاهد وقال

فيه: يعني كنانة. وروى الطبري من طريق السدي قال: هما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف. وقد ذكر موسى بن عقبة وابن إسحاق أن كنانة بن عبد ياليل وفد مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا، وذكره ابن عبد البر في الصحابة لذلك، لكن ذكر المديني أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك والله أعلم. وذكر موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب أنه صلى الله عليه وسلم لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يئووه، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم وهم إخوة عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما انتهك منه قومه ، فردوا عليه أقبح رد، وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطولا، وذكر ابن سعد أن ذلك كان في شوال سنة عشر من المبعث وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة.

## ٩١- الحذرُ من نقمة اللّٰه ، وتكذيب رسله ودعوته:

( أن أُطبقَ عليهم الأخشبين ). وفي القرآن:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف: ٥٥).

وقال عز وجل : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١٣).

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه: ٨١).

٩٢- الهمُّ من طبيعة الحياة ، وهو كفارة ودواؤه الصبر والإيمان ، ودوام الاستعاذة ، وقد جاء في الصحيح : ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ ).[١]

## ٩٣- اللّٰه تعالى خالق الكون ومصرفه ومدبره:

يحكم لا معقّب لحكمه ، ولا ينفي ذلك خلق الملائكة وغيرهم

(١) البخاري (٢٨٩٣) مسلم ( ١٣٦٥).

واستعمالهم في مرضاته وحكمته، كملك الجبال، والقطر، والصور، والموت .

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

« والإيمان بالملائكة يثمر ثمراتٍ جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم... ».[1]

وقال رحمه الله تعالى عن الحكمة من خلق الكرام الكاتبين، مع العلم بأن الله سبحانه وتعالى يعلم ولا يخفى عليه ما نُسِرُّ وما نُعلن:

(١) مجموع الفتاوى» (٦ / ٨٩).

« فالحكمة من ذلك : بيان أن الله سبحانه وتعالى نظم الأشياء وقدرها، وأحكمها إحكاماً متقناً، حتى إنه سبحانه وتعالى جعل على أفعال بني آدم ، وأقوالهم : كراماً كاتبين ، يكتبون ما يفعلون، مع أنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعلون ، قبل أن يفعلوه.

ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله عز وجل بالإنسان، وكمال حفظه تبارك وتعالى، وأن هذا الكون منظم أحسن نظام، ومحكم أحسن إحكام » .[1]

## ٩٤- أنّ الملائكة مفطورون على عبادة ربهم والعمل في مرضاته، قال ابن القيم رحمه الله - :

فإن الله سبحانه خلق خلقَه أطواراً ، فخلق الملائكة عقولاً لا شهوات لها ولا طبيعة تتقاضى منها خلاف ما يراد من مادة نورية لا تقتضي شيئاً من الآثار والطبائع المذمومة ، وخلق الحيوانات

(١) فتاوى نور على الدرب» (١ / ١٨٥).

ذوات شهوات لا عقول لها ، وخلق الثقلين الجن والإنس وركب فيهم العقول والشهوات والطبائع المختلفة لآثارمختلفة بحسب موادها وصورها وتركيبها ، وهؤلاء هم أهل الامتحان والابتلاء ، وهم المعرضون للثواب والعقاب ، ولو شاء سبحانه لجعل خلقه على طبيعة خلق واحد ولم يفاوت بينهم ، لكن ما فعله سبحانه هو محض الحكمة ، وموجب الربوبية ، ومقتضى الإلهية.(١)

٩٥- عظمةُ الملائكة وضخامة خلقهم، وقدرتهم على نسف الكفار، وإطباق الجبال عليهم، وجعل أمرهم في سفال وشقاء.

واستشعار لذلك طريق للإيمان بهم ومراقبة الله تعالى، والخوف من حدوده .

## ٩٦- كما أن الجبالَ أداة عذاب، هي أداة للمنافع والمعاش:

وقد ذكر القرآن أن خلقها لتثبيت الأرض ومنعها من الاضطراب .

(١) انظر طريق الهجرتين ( ص ٢٠٣ ) .

قال الله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (الحجر ١٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ (الأنبياء ٣١ ) .

## ٩٧- أن التمكينَ الدعوي مسبوقٌ بمراحل من البلاء والمتاعب والأحزان:

يتجلى في خلالها خصال الصبر واليقين والتوكل، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام : ( واعلم أن النصرَ مع الصبر ).

قال ابن القيم رحمه الله :(١)«سأل رجل الشافعي فقال : يا أبا عبد الله ، أيما أفضل للرجل أن يُمكن أو يُبتلى ؟ فقال الشافعي : لا يمكن حتى يُبتلى ، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة» .

(١) الفوائدُ ص ٢٦٩ .

## ٩٨- قوله ( من أصلابهم ) فيه إلماح الى مشروعية الزواج واستحباب التناسل:

وأن تولد الأبناء إنما هو من الزواج، الذي هو استجابة لنداء الفطرة، فليكن على منهاجنا الشرعي ، قال تبارك وتعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

قال ابن سعدي رحمه الله:، وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط، ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين

الزوجين من المودة والرحمة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يُعملون أفكارهم ويتدبرون آيات اللّه وينتقلون من شيء إلى شيء.

## ٩٩- والنكاح شريعة الأنبياء:

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الرعد: ٣٨).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: استدل على تفضيل النكاح على التخلي لنوافل العبادة بأن الله تعالى عز وجل اختار النكاح لأنبيائه ورسله فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أرْسَلْنا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ وجَعَلْنا لَهم أزْواجًا وذُرِّيَّةً﴾

وقال في حق آدم: ﴿وَجَعَلَ مِنها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إلَيْها﴾ واقتطع من زمن كَليمهِ عشرَ سنين في رعاية الغنم مهر الزوجة ومعلوم مقدار

هذه السنين العشر في نوافل العبادات، واختار لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأشياء فلم يحب له ترك النكاح بل زوجه بتسع فما فوقهن ولا هدي فوق هديه.

ولو لم يكن فيه إلا سرور النبي صل الله عليه وسلم يوم المباهاة بأمته، ولو لم يكن فيه إلا أنه بصدد أنه لا ينقطع عمله بموته.

ولو لم يكن فيه إلا أنه يخرج من صلبه من يشهد بالله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة.

ولو لم يكن فيه إلا غض بصره وإحصان فرجه عن التفاته إلى ما حرم الله تعالى.

## ١٠٠- أن لكل الأبناء والأصلاب اختيارهم في معرفة الحق:

وتمييز الباطل، فمن حكمة الله ورحمته خلق العقول، ومنح

(١) انظر بدائع الفوائد ٣/٢٥٩ .

كل بشر عقله المميز، وتفكيره الذي يهديه ، فلا يستطيع الآباء المتنفذون حمل ذرياتهم على الكفر ، وإن كانوا يفعلونه غالبًا ، ولذلك فر أبناء مؤمنون من آبائهم وقبائلهم ، مما يفيد استقلال كل مخلوق بعقله ورشده ، وقد صح من دعائه صلى الله عليه وسلم: ( اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ).[1]

(١) الترمذي (٣٤٨٣).


تمت الفوائدُ اللطائف، والحمد
للّه على فضله الزاخر الوارف .
اللهم انفعنا بالسيرة النبوية،
ووفقنا لفقهها والعمل بها .

# إصدارات المؤلف :

## صدر له أكثر من ( ١٦١ ) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .
- الخطبُ الحديثية .
- الأربعون المعالي.
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني.
- نثار العلم .
- من جماليات السيرة النبوية.
- محائليات ( شعر ).
- اليَراعةُ الرمضانية .
- مواقفُ علمية للأئمة الأسلاف.
- طلعةُ الشمس ( سنن نورانية).

- روائع الكلم النبوي .
- وكلها من ( دارتكوين ).
- طلائعُ السلوان - دار ابن خزيمة .
- نسماتٌ من أم القرى .
- مواتُ المروءة ( شعر ).
- وطن ومنن ( شعر ).
- الطِّلاب الأعظم ( شعر)
- فهزموهم بإذن الله ( شعر).
- توهجات النيل( شعر ).
- كورونا وليمونا (شعر).
- مدائن الألباني.( شعر ).
- عاصفة الحزم ( شعر ).
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .

- سلسلةُ أربعينيات حديثية متنوعة .
- أزاهير الروضة
- شجن المنابر
- قواعدُ قرآنية لفهم الدعوة .
- مقدمات التغيير النبوي .
- من جماليات السيرة .
- الاحتفالُ بالسبع الطوال .
- محاسنُ التزيين بمعاني المئين
- حسنُ التداني من لبّ المثاني .
- الغصنُ المكلل من معاني المفصل .
- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر.
- مسامرات أدبية على أنغام المتنبي.
- اغتنامُ الدرر من سورة العصر.

- النسيمُ البحري من أسرار رب اشرح لي صدري.
- متعةُ الهيمان من أسرار ثلث القرآن.
- سيدةُ الآيات وفريدة الهبات .

## للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

